

العلامة السيميائية وجسدية السيميوز

أ. دليلة زغودي

ملحقة مغنية الجامعية تلمسان (الجزائر)

Abstract :

there has a decisive semiotic transaction from the structuralism to the announces discourses of emotion and passions ,that has witnessed a great and rooted change both on the two sides: theoretical and pratical .thus ,we 've noticed the introduction of the bodism body-corporal status in the semiotic's sign and this was inspired from the linguistic of Saussure mainly in his event of partage.

Key-words :sémiotic's sign, semiosis, bodism

Résumé :

il y a une transaction sémiotique décisive du structuralisme vers les thèses des affectes et des passions, et qui a connue des changements radicales que soit sur le plan théorique ou sur le plan pratique. Et donc ,on a pu constaté l'introduction du corporité dans le signe sémiotique qui s'est inspiré du linguistique saussurienne.

Mots clefs :le signe sémiotique ,sémiosis, corporité

المخلص:

إن النقلة الحاسمة للسيميائية من البنيوية إلى مقولات العواطف و الأهواء، قد استتبعت تحويلات جذرية على مستوى التصورات و المنظورات و الأدوات الإجرائية ؛كان فيها إدخال "الجسدية" في بنية العلامة السيميائية (المستوحاة من لسانيات سوسير) الحدث المفصلي.

الكلمات المفتاحية: العلامة السيميائية، السيميوز، الجسدية .

العرض:

يتحدد موقف الإنسان من العالم حوله بالمفهوم الذي يمتلكه عن العلامة، فهي وسيطه في إدراك العالم وفهمه و السيطرة عليه وبفضلها « استطاع الإنسان أن يتخلص من الإدراك الخام، ومن التجربة الخالصة، كما استطاع أن ينفلت من ربكة "الهنا" و "الآن"»¹، حيث العلامة وسيلة الإنسان لتجاوز الإدراكات الخام التي يولدها الاحتكاك المباشر بمعطيات الطبيعة، و تعويضها بالمفاهيم التي تخوّل له الإمساك بالأشياء و تصنيفها، و الحكم عليها بشكل رمزي، يكفل له تنظيم تجربته في إطار ثقافي يستطيع به فرض بسطته على الطبيعة و إخضاعها لنظامه .

و مفهوم العلامة لا يتوقف عند المعطى اللساني، بل يشمل كل أنماط الترميز الثقافي التي تتخذ لها أشكالاً متباينة في التجلي، و تتوسل بوسائط أخرى غير الوسيط اللغوي في الظهور و الاشتغال، و تصنع، مجتمعة، لحمة التداولات الرمزية في المجتمع و سداها؛ فعلى أساس العلامة تكوّن المجتمع و انتظمت بنياته و أنساقه، و نشعبت علاقاته و سيظل "وجود المجتمع رهينا بوجود تجارة للعلامات"².

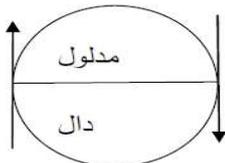
وإذا كان النقاش حول ماهية العلامة و عناصرها وطبيعة الرابط الذي يشد هذه العناصر بعضها إلى بعض، قسمةً بين علوم شتى؛ منها: الفلسفة و المنطق و علوم اللغة، فإن اللسانيات هي العلم الذي قدم أكمل النماذج و أنضجها حول هذا الموضوع. وقد ظلت المصدر الأول لاستقاء النماذج و متح الأنماط؛ بحكم قدمها و عراقة هذا المبحث فيها، و استيعابها لجميع فروع البحث اللغوي.

و كانت السيميائية - بحكم قرابتها من اللسانيات- تنهل من هذه الأخيرة المعطيات المتعلقة بالعلامة، و كيفية اشتغالها، و سيرورتها الدلالية؛ مما تبني عليه بحوثها حول طرق التدليل، و أشكال التواصل و إنتاج المعنى. و ظلت مفاهيم سوسير اللسانية المعين الأول للفكر السيميائي في أوروبا، و بقي، طبعاً، مفهومه حول العلامة، و ما صاحبه من أنظمة ثنائية * سنّة ينتهجها كل باحث في شؤون التعبير و التدليل و التواصل . و لم تكن مدرسة باريس السيميائية، في سنيها الأولى، نشازاً بين غيرها من المدارس السيميائية في اتباع نهجه، و اعتماد نظرتة، و اصطناع مفهومه حول العلامة .

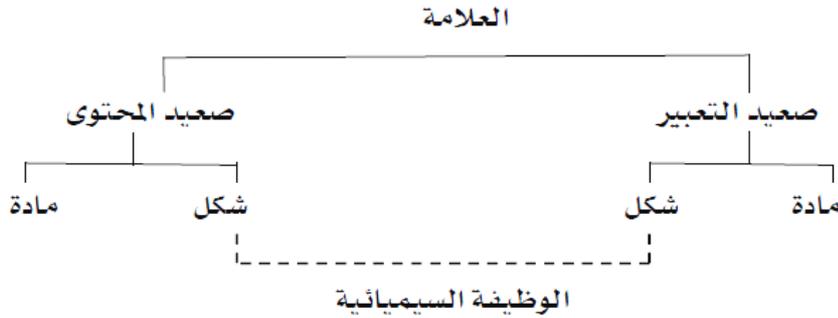
1..العلامة اللغوية السوسيرية:

العلامة عند سوسير كيان مزدوج يقوم على ركنين ذوي طبيعة نفسية هما: **المدلول و المدلول**، أما **المدال** (signifiant): فهو الصورة أو المتوالية الصوتية -في حال اللغة- أو هو كل حامل مادي للعلامة مهما تكن طبيعته - في حال الأنظمة غير اللغوية - مثل إشارات المرور، و الخرائط، و دليل السكك الحديدية، و مخطط شبكة الطرق، و الآداب الاجتماعية، و الإشارات العسكرية... و غيرها. و أما **المدلول** (signifié): فهو المفهوم أو التصور الذهني الذي نمتلكه أو نكوّنه عن الأشياء من حولنا؛ فهو ذو طبيعة فكرية صورية محضة. فيما قام سوسير باستبعاد **المرجع** الخارجي (réfèrent)، بوقائعه الطبيعية الفعلية، من تركيبه علامته بشكل تام.

وعلى الرغم من أن الركنين المكونين للعلامة ينشذان إلى بعضهما بسبب اعتباري لا يدعمه أي سند تحليلي منطقي، إلا أن حالهما في التلازم شبيهة بحال وجهي الورقة؛ يستقل الفكر (أي: المدلول) منها بالوجه بينما يشغل الصوت³ (أي: الدال) الفقا؛ فهما يرتبطان بعلاقة "افتراض متبادل"، لا يستغني أحدهما، فيها، عن الآخر، ويفترضان بعضهما بشكل ضروري؛ كما يبين هذا الرسم التوضيحي⁴:



يعكس هذا التصور، بوضوح، المنظور البنوي الشكلي الذي يعزل العلامة عن المرجع ، ويفصل الظاهرة اللغوية عما يحيط بها و يلبسها من معطيات غير لغوية ، فيقيم القطيعة ، بالتالي ، بين الإنساني و الطبيعي على نحو صارم، يمثل الخط الأفقي العازل بين الدال و المدلول ، في الشكل أعلاه، قرينةً عليه .
وقد تكفل هلمسليف ، بعده، بشرح هذا التصور، و إثرائه، و التفصيل في دقائق بنية العلامة ، و تناول مسألة العلاقة بين ركنيها اللذين غير اسميهما إلى: **صعيد التعبير (الدال) وصعيد المحتوى (المدلول)** ،وفصل في كل مستوى بين "مادة" و "شكل" بهذه الطريقة⁵:



وأطلق على العلاقة التي تجمعها اسم "الوظيفة السيميائية" (la fonction sémiotique) ** ، و ظل، فيها، على وفاء لاعتباطية سوسير. كما حافظ على طبيعتها الشكلية البنوية وعلى مبدأ "الافتراض المتبادل" أو "علاقة الضرورة" التي تجمع بين ركنيها.

2.. السيميوز (الوظيفة السيميائية) عند مدرسة باريس السيميائية:

تبنت مدرسة باريس هذا التصور حول الوظيفة السيميائية أو السيميوز ، وبنيت على أساسه نظريتها في "رصد تشكل الأنساق الدلالية و نمط إنتاجها و طرق اشتغالها"⁶ ، و بقيت تقيم عليه طروحاتها ردحا طويلا من الزمن؛ استغرق سنوات الستينات و السبعينات من القرن الماضي، حرصت، خلاله، على تجريد الإنسان مما يصنع خصوصيته الإنسانية؛ من جوانب جسدية و نفسية ، و اختزاله في "العمل" (l'action) الذي يقوم به؛ ليصبح ضمن الإطار السيميائي السردى مجرد "عامل" (actant) ميرمج لأداء دور نحوي تركيبي، بعد أن نصبت لنفسها "الشكلنة" و "الصورنة" و "التجريد المنطقي" أهدافا قصوى ترمي إليها.

وعلى هديها بقيت تعامل اللغة أو الخطاب كملفوظ (énoncée) تام و ناجز، و تغلق بابها في وجه مستجدات اللسانيات التلغفية التي شرعت في اكتساح الحقل اللساني و الدلالي منذ نهاية الستينات ، بسبب ما تقتضيه من إدخال الذات المتلغفة أو الحضور الإنساني الفعلي في دراسة الخطاب ، وظلت تتلمص من شروط التلغف، من خلال البحث عن هذه الشروط و دراستها داخل الملفوظ⁷ ، وعدم التطرق إلى المقام التلغفي بشروطه الفعلية. المتمثلة في؛ الشخص المتلغف، و زمن التلغف، وفضائه؛ حرصا منها على تحقيق موضوعية الوصف التي تتطلب إلغاء كل ما هو ذاتي⁸.

غير أن هذا الوضع لم يصمد طويلا إزاء مدّ "الفيونمينولوجيا" و "التداولية" و "لسانيات التلغف" الذي بدأ يتسرب إلى ميدان دراستها، شيئا فشيئا ،خلال الثمانينات ، وهو يحمل معه المواضيع الملغاة من البحث السيميائي .

وهنا بدأ التحول الأكبر في تاريخ البحث السيميائي عند مدرسة باريس؛ الذي كان اعتماد منظور الخطاب بالفعل (le discours en acte) أول مؤشر عليه ،حيث بدأت تصرف نظرها عن الملفوظ الخطابي الذي كرسنت له بحثها ، وتحوّله إلى المقام التلغفي (l'instance énonciative) ، الذي يعامل اللغة كإنتاج (و ليس كمنتج تام ومنتبه) تنتجه ذات إنسانية سيكو - اجتماعية فعلية تستلزم متلق فعلي و سياق واقعي.

وقد فتح عليها هذا التحول بابا واسعا لاستيعاب المباحث المعرفية و العاطفية و مباحث الجسد التي يستدعيها بحث التلفظ و التواصل⁹. وهو ما جعل المفهوم البنوي للسميوز المعتمد منذ الستينات (كما وضعه هلمسليف) يضيق عن الحاجات السيميائية المتزايدة. وصار إحداث تغيير جذري في بنية السميوز أمرا لا بد منه.

ففي ظل منظور "التلفظ الحي" و "الخطاب بالفعل"، أصبحت العمليات التحويلية بين المستويات تعتبر "ظواهر" تقتض ذاتا إستمولوجية مزودة بجسد، تعيد مفصلة الدلالات عند كل مرحلة تغيير لمستوى الملاعبة، لكي تساير مستوى الملاعبة الجديد من خلال نشاط "حساس" و "متجسد"، بعد أن كانت الانتقالات بين مستويات المسار التوليدي تتم - سابقا- على نحو آلي يفرض كل مستوى إلى المستوى الذي يليه، دونما حاجة إلى منجز يضطلع بعمليات التحويل.¹⁰ زيادة على ذلك فهو يعتبر من مستلزمات المنظور التلظي المتوخى في السيميائية؛ إذ تتطلب كل عملية إنتاج للدلالة أو كل تلفظ حي، كيانا جسديا يتخذ وضعية في العالم، وهي وضعية تؤلف بين ميدان خارجي و ميدان داخلي، وتفرق بينهما في نفس الوقت، حيث يكون هذا الكيان الجسدي مشتركا بينهما معا، و مسؤولا عن تحويلهما إلى صعيد تعبير و صعيد محتوى، والضامن لتغيير العلاقة بينهما تبعا لتغيير وضعيته بحسب مقامات التلفظ.¹¹

و هو دور ينهض به "الجسد الخاص" le corps propre المتحدر من فينومينولوجيا "ميرلو بونتي"، و يؤدي فيها دور الرابط بين "الأنا" و "العالم"، أو بين "الخاص" و "غير الخاص"؛ بعد أن اتخذته السيميائية مدخلا لصياغة مفاهيمها الجديدة المتمحورة حول الجسد.

ولو أعيدت عجلة التاريخ إلى الوراء قليلا، لتبين أنه قد تم الإقرار مبكرا بدور "التقبلية الذاتية" (la proprioceptivité) أي: الوساطة الجسدية التي يقوم بها الجسد الخاص في الجمع بين ما يؤوب إلى العالم الخارجي (ويندرج ضمن الدال من العلامة السيميائية)، و بين ما يعود إلى العالم الداخلي (و يلحق بجانب المدلول منها)، حيث يعود هذا الإقرار إلى عام 1966، و بالضبط إلى كتاب "علم الدلالة البنوي"¹².

ثم عاود الظهور، بعد ذلك، كمدخل معجمي في الجزء الأول من "المعجم المعقلن لنظرية اللغة" (1979)؛ على أنه المصطلح المعقد الذي يربط بين حدّي المقولة التصنيفية: "التلقي الخارجي / التلقي الباطني" ****¹³.

إلا أن التجسيد الفعلي لهذا المفهوم و اعتماده في تعريف العلامة السيميائية، و تشييد الصرح الدلالي على أساسه، بالتالي، كان ينتظر كتاب "سيميائية الأهواء؛ من حالات الأشياء إلى حالات النفس" (1991)¹⁴، بعد أن أصبح التعريف الشكلاني للعلامة عاجزا عن تلبية متطلبات السميوز المتزايدة، بسبب تمسكه باستبعاد كل صلة ذات طبيعة جسدية بين المستويين..

وهكذا زرعت التجربة الجسدية في بنية السميوز، وأحلت الوساطة الجسدية (la médiation corporelle) طرفا ثالثا في تركيب العلامة بعد التسليم بالضرورة المعرفية و الدلالية للوجود الجسدي داخل العلامة. وهو وجود تفرضه التجربة الحسية و الإدراكية التي تربط بين الإنسان و العالم، وتتخذ الجسد منطلقا لها.

وبما أن وجود الإنسان هو وجود جسدي¹⁵؛ فإن تمثله للعالم بشكل رمزي (أي: في شكل مفاهيم و تصورات)، يتطلب سميوزا يضم الحقل الخارجي (العالم) (l'extéroceptif) إلى حقل الإنسان الداخلي (l'intéroceptif) عبر المرور بالجسد من أجل إنتاج الدلالة.

تعقد الوساطة الجسدية إذن الاتصال بين حدّي العلامة، التي يمثل أحد وجهيها عالما إنسانيا داخليا، ويمثل الوجه الآخر عالما طبيعيا خارجيا، وتمتاز بهما أثناء لم شملهما.

3. جهود فونطاني:

عمل جاك فونطاني على تجذير "الجسدية" أكثر داخل بنية السيمبوز في كتابه "الجسد والعلامة" (soma et séma)، كخطوة ضرورية في مسيرة تأسيس سيميائية الجسد ضمن مشروع إبستمولوجي يتخذ من سيميائية البصمة وجهة نظر.¹⁶

فقد أفضى به الاطلاع على مختلف الدراسات الحديثة حول الجسد، والتي تتحد من علوم إنسانية و معرفية متنوعة ، وبعد الاعتماد على إجراءات التركيب التصويري ، إلى استخلاص صورتين سيميائيتين للجسد. يعرف هذا الأخير، بمقتضاهما، إمّا بوصفه "حركة" وإما بوصفه "غلافا"، تبعا لوجهة النظر المتوخاة؛ التي تركز مرة على "الطاقة" و تبتّر على "المادة" مرة أخرى ، أو بحسب الأدوار الموكلة إليه و التي تجعل من الجسد تارة "مصدر" القوة أي الحركة، وتجعل منه "هدفا" أي غلافا، تارة أخرى:

– الحركة le mouvement أو البدن الحركي la chair mouvante: وتفيد مجموع الطاقة الجسدية (الحسية الحركية) التي تؤثر على أغلفة الأشياء الخارجية فتكشف عنها ، بعد خفاء ، أو ترسم عليها أشكالاً.

– الغلاف الجسدي l'enveloppe corporelle : وهو عبارة عن الشكل الجسدي المعين، الذي قد يستجيب لتأثيرات الطاقة المطبقة عليه أو يقاومها.¹⁷

أما الصورة الأولى فإنها مفهوم مشترك بين ميدان الإشارات التواصلية المرافقة للكلام، و التحليل النفسي الفرويدي، و حقل الإدراك الفينومينولوجي، في حين أن الصورة الثانية تتمثلها السيميائيات المتطورة عن التحليل النفسي¹⁸، وخصوصا عن نظرية "ديديي أونزيو" (Anzieu): المعروفة بـ "الأنا - بشرة".

و تصل بين كل من الحركة والغلاف علاقة وطيدة؛ حيث يشكلان وجهي التمتظهر نفسه ، فمن مسلمات انغراس الدلالة الجسدي؛ عدم عزل الأشكال الدالة عن الأنظمة الدينامية التي تولدها، لذلك فمن غير الوارد أخذ الغلاف الجسدي بمنأى عن القوى الممارسة عليه التي تمنحه شكلاً¹⁹.

1.3. الغلاف و تأسيس الذات :

تجمع نظرية "الأنا - بشرة" النفسانية لصاحبها ديديي أونزيو بين المنظور الفينومينولوجي للجسد كما ظهر عند ميرلو بونتي خاصة ، وبين المنظور التحليلي النفسي للجسد عند فرويد ، حيث يمثل ، عند الأول، حامل كينونة الإنسان ، وواسطته لإدراك العالم من حوله، و الاتصال به ، هذا بالإضافة إلى نهوضه بعملية ترميز الأشياء، و تحويل الخامات الطبيعية إلى مفاهيم رمزية إنسانية خالصة عبر ما يعرف ، عنده، بمفهوم الجسد الخاص.

فيما يعتبره فرويد بؤرة صراع بين الرغبات و الطاقات من جهة ، وبين الحواجز و المعيقات من جهة أخرى. و خرج أونزيو من المزج بينهما بمنظور يرى إلى الجسد الخاص على أنه غلاف حواسي و نفساني يقع كحد مشترك بين الأنا والعالم أو بين الأنا و الآخر، يصل بينهما و يفصلهما عن بعضهما في الآن نفسه.²⁰

يطابق أونزيو بين الغلاف و الأنا [و لذلك يطلق على نظريته اسم "الأنا - بشرة"] على الرغم من إقراره بأن المؤثرات المسؤولة عن العلاقة تنبعث، في الآن ذاته، من الداخل (الأنا) كما تصدر عن الخارج (الآخر) ، و لا يكتفي أي منهما بدور سلبي يستقبل فيه القوى من الطرف الثاني، و لذلك يربط الغلاف السيميائي بين "الأنا" و "الذات". فهو آخر لكونه يتأسس بفعل المثيرات الصادرة عن بدن آخر ، وهو مختص بي أيضا لأنه يدير الطاقات الصادرة عن "الأنا". كما أنه وإن كان حدا مشتركا بين الأنا و الآخر، إلا أنه لا يمكن أن يماثل الأنا و لا أن يتطابق مع الآخر.

و قد أشار أونزيو إلى دور الاتصال بالأم في تأسيس هذا الغلاف عند الطفل ، مما يجعل منه سطحاً فاصلاً و مشتركا بين "الأنا" الطفولية و "الآخر" الأمومي يتم فيه تبادل التأثيرات و الحركات بين الجانبين²¹.

ولهذا تفر السيميائية نتائج هذه النظرية بوصفها نظرية "الذات غلاف" -أو " الذات -بشرة"²² و ليس "الأنا - بشرة".

2.3. وظائف الغلاف و المسارات التصويرية:

يقوم هذا الغلاف النفساني عند أونزيو بأداء تسع وظائف، أخذها عنه جاك فونطاني و أعاد تصنيفها ، و قام بتنظيمها في أربعة مسارات سيميائية بالنظر إلى تقاربها ، و هي على التوالي:

1. مسار الحاوي : و يحتوي على وظيفتين هما:

- وظيفة الصيانة maintenance : يضمن الغلاف وحدة الأنا ،من خلال توفير التلاحم بين أجزائها والحرص على عدم تفكك عراها.
- وظيفة الاحتواء (الاشتمال) contenance و تتمثل في صهر الأجزاء المكونة للأنا، و إعطائها شكلا كليا.

2. مسار القدرة التمييزية و التبادل و مصفاة الشدة: و تأتلف فيه ثلاث وظائف هي:

- وظيفة عبر تحريضية: الغلاف مكلف بفعل شبيهه بالغربة يعمد به إلى تصفية المثبرات و القوى الخارجية التي تطل الأنا.
- وظيفة إعادة شحن و تفريغ الطاقة: هنا ينعكس عمل الغلاف؛ حيث يكون عليه أن يغربل و يصفى القوى الداخلية قبل تطبيقها على الأنا.
- وظيفة التمييز بين الخاص و غير الخاص: إن موقع الغلاف التوسطي بين الأنا و العالم يخوله لأن يكون الحد الفاصل الذي يرسم حدود الهوية و يميزها.

3. مسار الفرز الخلاقي: و رصيده وظيفتان هما:

- وظيفة الإثارة:يعمل الغلاف على استقبال المؤثرات الخارجية و الفرز ، فيها، بين ما يبعث على اللذة و ما يثير الألم على النطاقين؛ الجسدي و الخلاقي (القيمي) .
- وظيفة التدمير: تنقلب الذات على الأنا أحيانا ، ويتحول الغلاف الذي كان يحمي الأنا و يصون وحدتها إلى غلاف قاتل ، وهو ما يمكن التمثيل له بما يروى عن الحلل و الأردية المسمومة التي تجعل الجلد يتآكل و اللحم يتساقط قبل أن تقضي على لابسها تماما.

4. مسار الترابط و التسجيل: و يضم هو الآخر وظيفتين هما:

- وظيفة الربط بين الحواس المتعددة: و فيها يعقد الغلاف الوشائج بين المؤثرات الداخلية، و المؤثرات الخارجية التي تقع على الأنا.
- وظيفة سطح التسجيل (أو النقش) de surface d'inscription : يحتفظ الغلاف بآثار ما يمر به من أحداث داخلية و خارجية ، و تصبح هذه الآثار صورا دالة فيما بعد²³، وهذا هو مبدأ اشتغال سيميائية البصمة

يلتقي الغلاف في المسار الأخير مع الوظيفة السيميائية و تمثل كل وظيفة منه مرحلة من مراحل تشكيل السيموز ؛ حيث تجانس وظيفة الربط بين الحواس الإدراكات، و تعتمد إلى دمجها في إدراك شامل يجمعها، بينما تقوم وظيفة سطح التسجيل بتكوين دوال دائمة، كما أنهما تتوافران على أسباب داخلية و أخرى خارجية ،لأنهما تتشأن بفعل المثبرات الخارجية التي يواجهاها باستجابات انفعالية (داخلية) تختلف بين الألم و اللذة²⁴.

3.3. الغلاف الحاوي و السيمبوز:

لقد أدخلت صورة "الغلاف الحاوي" تعديلا كبيرا على الشكل الكلاسيكي للوظيفة السيميائية ، فقد كانت هذه الأخيرة تعتمد على مبدأ "الافتراض المتبادل" و"علاقة الضرورة" في ضم مستوى التعبير إلى مستوى المحتوى ، مغيبة كل أثر جسدي في معالقة الوجهين .على الرغم من الحضور الضمني لصورة الغلاف في التعريف القديم*** ؛ إذ لا تستغني المحتويات المدلول عليها عن حاو يحتويها ، و يسمح في الآن نفسه للتعبير الدالة أن تخرج. وعلى صعيد التحليل النفسي ، يذهب أونزيو مثلا إلى أن "الأغلفة النفسانية" باعتبارها حاوية هي المسؤولة عن تشكيل "المحتويات"، إذ يعمد غلاف الذات إلى تحويل المدّ التوتري و الانفعالي المشوش إلى صور متميزة ودالة. وهو ما يكشف أن التأسيس العملي للذات عن طريق صورة الغلاف ضروري و مفترض في تحويل النزيف التوتري إلى محتويات دالة، عن طريق نقلها من مادة إلى دلالات متمفصلة و واضحة.

وإذا كان هذا يبدو غريبا في حال نظر إليه من زاوية "اللسانيات البنيوية" ، فإنه من المقترضات المسلم بها داخل منظوري "الخطاب بالفعل" و" التلفظ الحي" اللذين تتبني عليهما سيميائية الخطاب؛ ففي محفل الخطاب ، وأثناء اتخاذ وضعية التلفظ، يتطلب المرور من مادة المحتوى إلى شكله ، تكوين منطقة تصارع فيها التوترات القوى التي تواجهها ، مما يكشف عن طبيعتها التصويرية لكونها تملك شكل غلاف و توازي ، على الصعيد العملي، تأسيس "الذات" (Ie (sujet).

يتطلب السيمبوز إذن ثلاث صور لكي يشتغل و هي :

- "المحتوى": و يقوم الغلاف قبالتة كحاو.

- "الحاوي".

- "التعبير": ويكون الغلاف بالنسبة إليه متلق للتسجيلات أو لما يسميه أونزيو بـ"دوال التسجيل".
تقابلها ثلاث هيئات عملية هي : "الأنا بدن" و "الذات غلاف" و "الآخر" ²⁵

4.3. سطح التسجيل والتلفظ و الوظيفة السيميائية:

لقد لاحظ أونزيو، من خلال تجاربه العيادية، أن الغلاف يتلقى بصمات ما يطلق عليه اسم "الدوال الشكلية" ، و هي عبارة عن مظهرات نموذجية تنشأ بتأثير من تشويه يطال الغلاف ، و تجعل من الحالات أو الحركات الداخلية للذوات حالات وحركات جسدية .

و قد صنف العمليات المسؤولة عن إنتاج هذه الدوال إلى صنفين :

- **الصنف الأول** : وهو عبارة عن "عمليات طوبولوجية" تدخل تعديلات على الغلاف الحاوي ، بحيث تأخذ هذه التعديلات عدة أشكال تتنوع بين الفتح و الغلق ، والإفراغ و الملاء ، و قلب الأدوار بين الداخل و الخارج...

- **الصنف الثاني**: و تمثله "عمليات مادية" تعمل على أساس التفاعلات بين المادة و الطاقة ؛ و هي تنتمي إلى منطق التركيب التصويري الذي يقوم على ضبط صيرورة "الأجساد العوامل" من خلال النزاعات و التفاعلات بين الجواهر المادية و ما يؤثر فيها من طاقات ؛ حيث إن الغلاف يتعرض لعمليات متنوعة من مثل ؛ التمزيق و الكسر و التفجير و التبخير و التقطير... ثم إن هذه التعديلات تؤثر على مستوى آخر في شكل الأغلفة فتظهر ، في النهاية، كشكل للتعبيرات الطوبولوجية المنقوشة على الغلاف .

و بذلك فإن العمليات الطوبولوجية تهم الغلاف ، أما العمليات المادية فإنها تعنى بالتفاعلات بين المادة والطاقة.

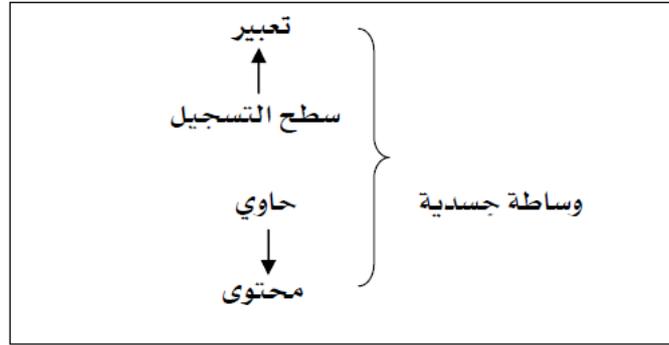
و طبقا لمبدأ اشتغال البصمة ، فإنه إذا كان هنالك شبه بين دوال الغلاف (الدوال الشكلية على حد تعبير أونزيو) و بين الحالات الداخلية للأنا، فإن ذلك لا ينجم بتأثير من مجاز بلاغي أو تشابه ، وإنما بسبب التماس بين التعديلات

التي تخص البدن و نظيرتها التي تتال من الغلاف. وهذه هي الطريقة التي يتبعها الغلاف الحاوي في تحوله إلى غلاف يشتغل كسطح تسجيل يسمح بظهور البصمات الدالة.

وقد عاد هذا الطرح بنتائج هامة على النظرية السيميائية العامة؛ من حيث تغييره لبنية الوظيفة السيميائية؛ لأن اعتبار الغلاف سطح تسجيل يتم المفهوم الذي يعتبره واجهة سيميائية ببنية: فيحتوي الغلاف المحتويات من جهة، ويسجل التعبيرات من جهة أخرى مما يتم الوساطة ، و يفك مفهوم الوظيفة السيميائية من قبضة الشكلانية والمنطقية التي أحكمت إسارها عليها لمدة طويلة ؛

فبالغلاف، وبفضل الوساطة الجسدية (التقلبية الذاتية) ، يوجّه أحد وجهيه وهو "الحاوي" نحو المحتوى ، فيما يوجه الوجه الآخر و هو "سطح التسجيل" نحو التعبير، وبذلك تكون الذات -غلاف هي المسؤول الجسدي عن الربط بين صعيد التعبير و صعيد المحتوى.²⁶

و تتأطر الوظيفة السيميائية ، إذ ذاك، على هذه الشاكلة:²⁷



يلاحظ الانقلاب الكبير الذي يعكسه هذا التخطيط، في زوال ذلك الخط الأفقي الذي كان يفصل بحسم، عند سوسير ، بين الدال و المدلول أو بين الخارجي و الداخلي. وكذا في هذه الوساطة بين العالمين التي ينهض بها الجسد الإنساني ؛ هذه الوساطة التي لا تدل فقط على الجمع بين الحدين ، وإنما تمنح لنفسها دور المعبر الذي تسلكه المعطيات الخارجية (معطيات العالم) لتتحول إلى معطيات داخلية إنسانية دالة.

بزرع الوساطة الجسدية في عمق السيميوز أو الوظيفة السيميائية إذن ، تكون الذات الإنسانية - التي لطالما استبعدت و أقصيت من نشاط التذليل بحجة المنطقية و الشكلانية - قد غرست في مركز الدلالة ، بل وجعلت الشرط الأساسي في كل إنتاج دلالي،²⁸ كما يكون المنظور "المنقطع" (discontinuu) الذي حكم مفهوم السيميوز البنيوي ، فأقام القطيعة بين الأنا والعالم، قد ترك مكانه للمنظور المتصل (continu)²⁹ الذي يصل الذات بعالمها في السيميوز المتجسّد الجديد.

الهوامش:

- ¹ . إيكو. إمبرتو: العلامة: تحليل المفهوم و تاريخه ، ت. بنكراد .سعيد، كلمة و المركز الثقافي العربي، بيروت - الدار البيضاء، ط1، 2007، ص. 203.
- ² . نفسه ، ص. 203.
- * . يقوم الفكر اللساني السويسري على منظومة من الثنائيات تُوَطر نهجه في دراسة اللغة هي: اللسان/ الكلام ، الدال / المدلول، التزامن/ التعاقب، التركيب /الاستبدال ، الشكل/ المادة
- ³ . De Saussure. F, Cours de l'linguistique générale, Talantikit , Béjaia , 2002.p.136.
- ⁴ . نفسه ، ص.137.
- ⁵ . Hjelmslev.L , Essais linguistiques , Minit , 1971, p.116
- ** . ما يسميه هلمسليف بالوظيفة السيميائية ، كان بيرس قد سماه "السيموز" (la sémosis) ؛ و هو يدل عنده على السيرورة الدلالية المسؤولة عن إنشاء العلاقة السيميائية بين أقطاب العلامة الثلاثة- كما تصورها: أي: الممثل والموضوع والمؤول . وبخصوص مصطلح السيموز ومفهومه ، ينظر: دولودال.جيرار: السيميائيات أو نظرية العلامات ، ت. بوعلي.عبد الرحمن ، دار الحوار للطباعة النشر و التوزيع ، سوريا ، ط1، 2004، ص ص. 60-61.
- ⁶ . بنكراد. سعيد : مقدمة ترجمة كتاب إيكو : العلامة، ص.12.
- ⁷ .Courtés.J , Analyse sémiotique du discours ; de l'énoncé a l'énonciation , Hachette , Paris , 1991, p.247.
- ⁸ .Bertrand.D ,Précis de sémiotique littéraire, Paris, Nathan, 2000, p.51.
- ⁹ Geninasca.J , Du texte au discours littéraire et à son sujet , in , « La littérarité » , Actes du colloque international, tenu au Musée de la civilisation _Québec , 1989.p. 239.
- ¹⁰ . Fantanille.J, Soma et Séma : figures du corps , Maisonneuve et Larose , paris , 2003 ,p.14.
- ¹¹ . نفسه ، ص. 22.
- ¹² . تناول غريماس هذا البعد، وألح على هذه الصلة الجسدية ،مع ما تستدعيه من آثار انفعالية، منذ الكتاب التأسيسي الأول : ينظر في هذا الشأن كتاب :
- Greimas .A.J , Sémantique structurale ; recherche de méthode , Larousse , Paris , 1966, p.65.
- *** . أي: **التلقي الخارجي**: و هو صفة الحساسية التي تتلقى أنبأها من خارج الجسم لا من داخله، أما **التلقي الباطني**: فهو صفة الحساسية التي تتلقى تنبيهاتها من الجسم الحادثة فيه.
- ¹³ .Greimas.A.J-Courtès .J , Sémiotique : dictionnaire raisonnée de la théorie du langage, Paris ,Hachette , 1979, p. 299.
- ¹⁴ . Greimas.A.J – Fantanille. J, Sémiotique des passions ; Des états de choses aux états d'âme, Paris, Seuil, 1991, p p. 12-13.
- ¹⁵ . لوبروتون. دافيد، أنثروبولوجيا الجسد و الحداثة، ت. محمد عرب صاصيلا ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، بيروت، ط.1 ، 1993.ص.05.
- ¹⁶ Fantanille . J, Soma et Séma , p.263.
- ¹⁷ . نفسه : ص.128.
- ¹⁸ . نفسه: ص. 125 .
- ¹⁹ . نفسه: ص.129.
- ²⁰Anzieu.Didier : Le moi-peau , DUNOD ,Paris,1995,p.58.
- ²¹ . نفسه : ص ص.57-58.

²² - Fantanille . J, Soma et Séma ,pp.141-143.

²³ . بالنسبة لوظائف الأنا-بشرة عند أونزيو ؛ ينظر :

-Anzieu.Didier : Le moi-peau , , p.121-129.

²⁴ . نفسه، ص ص.143-145.

**** . ففي تشبيهه سوسير لطرفي العلامة بوجهي الورقة الواحدة ما يوحي بصورة "الواجهة البينية" interface التي يشغلها الغلاف.

²⁵ . Fantanille . J, Soma et Séma , pp.147-148.

²⁶ . نفسه: ص ص.148-153

²⁷ . نفسه: ص.153.

²⁸ . Greimas.A.J – Fantanille. J, Sémiotique des passions , p. 12.

²⁹ - Hénault. A. , Pouvoir comme passion , PUF, 1994 , p.210.

عن؛ الدا هي .محمد : تحليل سيميائي – تلفظي للخطاب الروائي العربي الجديد (1990- 1994) ، مساهمة في إعادة بناء الكلام الروائي سيميائيا ،مخطوط أطروحة دكتوراه الدولة، جامعة محمد الخامس – الرباط ، السنة الجامعية: 2001-2002ص.100.

مكتبة البحث:

1. المترجمة إلى العربية:

- إيكو. إيميرتو: العلامة: تحليل المفهوم و تاريخه ، ت. بنكراد .سعيد، كلمة و المركز الثقافي العربي، بيروت – الدار البيضاء، ط1، 2007.

- دولودال.جيرار: السيميائيات أو نظرية العلامات ، ت. بوعلي.عبد الرحمن ، دار الحوار للطباعة النشر و التوزيع ، سوريا ، ط1، 2004

- لوبروتون. دافيد، أنثروبولوجيا الجسد و الحدائث، ت. محمد عرب صاصيلا ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت، ط.1 ، 1993.

2. الأجنبية:

-Anzieu.Didier : Le moi-peau , DUNOD ,Paris,1995.

- .Bertrand.D ,Précis de sémiotique littéraire, Paris, Nathan, 2000.

- Courtés.J , Analyse sémiotique du discours ; de l'énoncé a l'énonciation , Hachette , Paris , 1991

De Saussure. F, Cours de l'linguistique générale, Talantikit , Béjaia,2002.

-Fantanille.J, Soma et Séma : figures du corps , Maisonneuve et Larose , paris , 2003

- Geninasca.J , Du texte au discours littéraire et à son sujet , in , « La littéarité » , Actes du colloque international, tenu au Musée de la civilisation _Québec , 1989.

- Greimas .A.J , Sémantique structurale ; recherche de méthode , Larousse , Paris , 1966.

.Greimas.A.J-Courtès .J , Sémiotique : dictionnaire raisonnée de la théorie du langage, Paris ,Hachette , 1979 .

. Greimas.A.J – Fantanille. J, Sémiotique des passions ; Des états de choses aux états d'âme, Paris, Seuil, 1991.

- Hjelmslev.L , Essais linguistiques , Minuit, 1971